التنظير السوسيولوجي في العراق
دراسة في تطور الفكر الاجتماعي العراقي وتحليل مساراته

أ.م.د.نصير محسن عبد الحسين الفتلاوي

كلية الآداب، جامعة القادسية

nasseer.abdulhusein@qu.edu.iq

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٥/٣/٢٠

تاريخ قبول البحث : ١٠ /٢٠٢٥/٤

الخلاصة :

يستعرض البحث تطور الفكر السوسيولوجي في العراق، وتحليل مساراته المختلفة ومدى تأثره بالتغيرات السياسية والاجتماعية التي مر بها المجتمع العراقي وتحليل إسهامات المفكرين العراقيين البارزين مثل علي الوردي وشاكر مصطفى سليم وحاتم الكعبي، ودورهم في صياغة أفكار سوسيولوجية تناسب واقع المجتمع العراقي، مع الإشارة إلى تأثرهم بالأطر التنظرية السوسيولوجيـــة الغربية ومدى تكيفهم معها. وتحليل تفاعل هذا الفكر مع التحديات الحديثة التي يواجهها المجتمع العراقي في ظل العولمة والتحولات العالمية. وتقديم رؤى جديدة لتطوير الفكر السوسيولوجي العراقي في مواجهة القضايا الاجتماعية المعاصرة، من خلال التركيز على أهمية بناء نماذج سوسيولوجية محلية قادرة على تفسير وفهم التحولات المستمرة في العراق.

الكلمات المفتاحية : التنظير السوسيولوجـي، الفكر الاجتماعي.

Sociological Theorizing in Iraq

A Study of the Development of Iraqi Social Thought and an Analysis of Its Paths

Assistant Professor Nasir Mohsen Abdul Hussein Al-Fatlawi

College of Arts/ Al-Qadisiyah University
nasseer.abdulhusein@qu.edu.iq

Date received: 20 /3 /2025
Acceptance date: 10 /4 /2025

Abstract:

The research reviews the development of sociological thought in Iraq, identifying its different paths and the extent to which it is affected by the political and social changes experienced by Iraqi society, analyzing the contributions of prominent Iraqi thinkers such as Ali Al-Wardi, Shaker Mustafa Salim and Hatem Al-Kaabi, and their role in formulating sociological ideas that suit the reality of Iraqi society, with reference to their influence on Western sociological theoretical frameworks and the extent of their adaptation to them. And analyze the interaction of this thought with the modern challenges faced by Iraqi society in light of globalization and global transformations. Providing new visions for the development of Iraqi sociological thought in the face of contemporary social issues, by focusing on the importance of building local sociological models capable of explaining and understanding the ongoing transformations in Iraq.

Keywords : Sociological theory, Social thought, Analyze pathways

المقدمة:

يعد الفكر السوسيولوجي أداة مهمة لفهم البناء الاجتماعي وتحليل التغيرات التي تطرأ على المجتمعات، وتأثير العوامل السياسية، الاقتصادية، والثقافية عليها. وفي السياق العراقي، يتسم الفكر السوسيولوجي بأهمية خاصة، حيث يعكس التحديات الاجتماعية والسياسية التي مر بها المجتمع العراقي على مدار تاريخه، بدءًا من الاستعمار مرورًا بالحروب والصراعات السياسية وصولًا إلى التغيرآت الأجتماعية الكبرى في العقدين الأخيرين، إذ يشهد هذا البلد تحولات مستمرة على الصعيدين الاجتماعي والسياسي، مما يفرض ضرورة فهم تأثير هذه التحولات على الفكر الاجتماعي. وفي هذا البحث، سنقدم رؤية نقدية معمقة حول مسارات الفكر السوسيولوجي في العراق وكيفية تأثير الظروف التاريخية والاجتماعية على تطور هذا الفكر، مع التركيز على أهم إسهامات المفكرين في مجال السوسيولوجيا العراقية، فلدينا الكثير من العلماء والمفكرين الذين يحق لنا أن نعتز ونفتخر بهم لما لهم من إسهامات وإنجازات كبيرة ساهمت في رفع شأن السوسيولوجيا العراقية على الصعيدين العالمي والعربي.

المبحث الأول: عناصر البحث الأساسية

أولاً: مشكلة البحث وتساؤلاته:

في هذا البحث سلطنا الضوء على تطور الفكر السوسيولوجي في العراق وفهم مساراته المختلفة في ظل التحولات الاجتماعية والسياسية التي مر بها المجتمع العراقي وتأثير هذه التحولات في تشكيل المفاهيم والأدوات النظرية والمنهجية ، وتتمثل المشكلة الأساسية لهذا البحث بطرح التساؤل التالي: كيف تطور الفكر السوسيولوجي في العراق؟ وماهي السبل والأدوات التي أتبعها في مواجهة التحديات الاجتماعية والسياسية.

ومن هذه الإشكالية، يبرز تساؤل آخر يتعلق بتأثير التغيرات الاجتماعية الكبيرة مثل الحروب والنزاعات الطائفية، والتغيرات الاقتصادية على الفكر السوسيولوجي وكيفية تعاطي المفكرين العراقيين مع هذه التغيرات؟ فهل كانت هذه التحولات سببًا في تطوير تنظيرات سوسيولوجية محلية أم كانت مجرد استجابة للأطر الغربية؟ وكيف ساهم المفكرون العراقيون في إنتاج أفكار تعكس الواقع الاجتماعي العراقي المتغير؟

ثانياً: أهمية البحث (Importance of Study)

يعد هذا البحث دراسة شاملة لتطور الفكر السوسيولوجي في العراق، وتقديم رؤية جديدة لفهم ألعوامل السياسية والإجتماعية ومدى تأثيرها على الفكر الاجتماعي. إذ يعد الفكر مرآة تعكس التحديات الاجتماعية

والسياسية التي مر بها المجتمع العراقي في مختلف العصور والأزمنة، من فترات الاستعمار إلى الحروب وصولًا إلى تغيرات ما بعد الاحتلال. وتكمن أهمية البحث أيضاً في تسليطه الضوء على الفكر السوسيولوجي العراقي كأداة لتحليل المشكلات الاجتماعية المعقدة التي يواجهها المجتمع العراقي، وفهم الديناميكيات الداخلية التي تحكم العلاقات بين مختلف المكونات الاجتماعية. كما يسهم هذا البحث في إعادة تقييم الأفكار السوسيولوجية العراقية التقليدية والنقدية، ومدى قدرة هذه الأفكار في تحليل وفهم التغيرات المستمرة في العراق ويساهم كذلك في تقديم أدوات فكرية مهمة لمواكبة التحديات التي تواجه المجتمع العراقي في الوقت الراهن.

ثالثاً: أهداف البحث (Objectives of Study)

يهدف البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الرئيسية التي تسهم في فهم تطور الفكر السوسيولوجي العراقي، وكالآتي:

١. تحليل تطور الفكر السوسيولوجي العراقي وكيف تطور هذا الفكر، مع تسليط الضوء على أشهر أعمال المفكرين العراقيين في هذا المجال.

٢. دراسة التأثيرات السياسية والاجتماعية على الفكر السوسيولوجي العراقي وكيف أثرت التغيرات السياسية والاجتماعية الكبيرة، مثل الحروب، التغيرات الحكومية، والصراعات العرقية، على تطور الفكر السوسيولوجي في العراق.

٣. تحليل المسارات المختلفة للتنظير السوسيولوجي في العراق وكيف تغيرت مدارس التفكير السوسيولوجي العراقية وكيفية تفاعل المفكرون العراقيون مع هذه التحولات.

٤. تقييم دور المفكرين العراقيين في الفكر السوسيولوجي المعاصر، من خلال تسليط الضوء على إسهامات نخبة من المفكرين العراقيين في تشكيل رؤية سوسيولوجية عراقية خاصة، وكيف ساهموا في تحليل الواقع الاجتماعي في العراق.

المبحث الثاني: الإطار النظري والمفاهيمي

أولاً: التنظير السوسيولوجي

التنظير هو أعلى درجات التفكير، ومن ثم فهو أكثرها صعوبة لأنه لا يمكن ولوج بابه إلا بعد إنجاز واجتياز مراحل سابقة من البحث والدرس. وإلا صار محض تأمل انطباعي أو تفكير مجرد ومغامر، أبعد ما

يكون عن العلم والمنطق. أما التنظير كما يجب أن يكون فهو تحويل التراكمات العلمية بدءً بالوصف ثم الاستقراء والاستنباط إلى بديهيات، وتقنين قوانين عامة تفسر كل الجوانب الموضوع وتجيب عن تساؤلاته. وهذا يعني وجود اختلاف جوهري بين التنظير وبين التأويل، إذ أن التأويل يدخل في إطار الرأي، بينما يتعلق التنظير بالرؤية. فالرأي عادةً يرتبط بجزئية ما في موضوع عام بهدف الوقوف على أسبابها، أما التنظير فموضوعه أعم وأشمل، ومن ثم فهو يمثل الحصاد النهائي لمجموعة من الآراء الجزئية وينظمها في رؤية تجانسية ومتسقة. ومن خلال هذه الرؤية يمكن الإجابة ببداهة عن التساؤلات المتعلقة بالجزئيات الموضوع العام، على أساس أن الجزئيات هي التي تكون الكليات، وما ينسب على الكل ينطبق على الجزء بداهة[١] .

والتنظير الاجتماعيي في علم الاجتماع بأخذ حيزاً كبيراً من حرص السوسيولوجيين والمختصينسواء الكلاسيكيين أو المعاصرين، مع الأخذ بنظر الأعتبار وجود إختلافات كثيرة وجوهرية تتعلق بماهية هذا العلم وفقاً للعلاقة بين علم الاجتماع وموضوعه، لكن الاهتمام الحقيقي لعلم الاجتماع يركز على ((البناء الاجتماعي)) (Social structure) وما يتضمنه من أنساق ومايربطها من علاقات وإختلافات وما يحدث في هذا البناء من تغيرات وتحديثات، ولفهم العلاقات بين الأنساق المختلفة وبين الخاص والفردي والطارىء، فإن علم الاجتماع يقوم بدارسة هذه الجوانب بالقدر الذى يسهك في فهمها وتحليلها وتفسيرها ومحاولة التنبؤ بها. ومن هذا المنطلق لخص اودونيل odonnell ١٩٩٧، أشهر القضايا المهمة للتنظير السوسيولوجي حسب وجهة نظر علمـاء الاجتماع المؤسسين والأوائل بدءاً من إميل دوركايم وكارل ماركس وانتهاءاً بـ ماكس فيبر ومن أهم هذه القضايا[٢]:

١- ما هي الأنساق التي يتشكل المجتمع ؟

٢- كيف يعمل المجتمع على تأدية وظائفه الرئيسية؟

٣- مـا الذي يحدثه التغير الاجتماعي ويسببه؟

٤- لماذا بعض الجماعات في المجتمع أكثر هيمنة وقوة من باقي الجماعات اجتماعية الأخرى؟

٥- هل إن طبيعة المجتمع تميل إلى حالة توازن أم إلى حالة الصراع؟

٦- ما طبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع؟

٧- ماهو الهدف الأساسى لدراسة علم الاجتماع وما الغرض منها؟

ثانياً: منهجية البحث

في هذا البحث الذي يهدف إلى دراسة تطور التنظير السوسيولوجي في العراق وظف الباحث المنهج التاريخي، الذي يتيح تتبع التغيرات الفكرية عبر الفترات الزمنية المختلفة، وتحليل العوامل المؤثرة فيها. إذ يرتكز البحث على دراسة الإطار الزمني الذي مر به الفكر السوسيولوجي العراقي، بدءًا من مرحلة النشأة في منتصف القرن العشرين، مرورًا بفترات التحول الأكاديمي والتأثيرات السياسية، وصولًا إلى المرحلة الحالية بعد عام ٢٠٠٣. ويعتمد على تحليل المصادر التاريخية، مثل الكتب والمقالات الأكاديمية، وكتابات علماء الاجتماع العراقيين، لفهم الإشكاليات التي واجهها التنظير السوسيولوجي في العراق. كما استخدمنا كذلك المنهج المقارن، الذي يتيح مقارنة الفكر السوسيولوجي العراقي مع الفكر السوسيولوجي في دول اخرى سواء كانت عربية أو غربية ،وذلك من خلال تحليل الفروق والتشابهات بين التنظير السوسيولوجي في العراق وبين ما هو سائد في دول أخرى.

في النهاية، يسعى البحث إلى استخلاص استنتاجات حول مدى تطور الفكر السوسيولوجي العراقي أو ركوده، مع مناقشة العوائق التي واجهته في هذا المجال وإمكانيات تطويره في المستقبل، إذ يتيح استخدام المناهج أعلاه فهم التحولات الفكرية ليس فقط كسرد زمني أو مقارنتها ببعضها، بل كعملية تحليلية للكشف عن العوامل التي ساهمت في تشكيل واقع السوسيولوجيا في العراق اليوم.

المبحث الثالث: التنظير السوسيولوجي في العراق

إن التغيرات الاجتماعية الكبيرة التي حصلت في المجتمع أدت إلى خلخلة الأطر المعرفية والأخلاقية والحضارية ما انعكس على فقدان جزء كبير من القيم الأخلاقية الثابتة، إذ اضحى الإنسان متحرراً نسبياً من الثوابت والقيود التي تطوق سلوكه الفعلي، وتفككت بعض الشيء البنى التقليدية واهتزت بعض أركانها وفقدت مصداقيتها وحلت محلها قيم جديدة مثل فقدان الأسرة للخصوصية الأخلاقية وتفكك العلاقات الاجتماعية الأخلاقية بين الأفراد، بمعنى أن التغيرات التي غزت البشرية أصبح للجانب الاقتصادي الرأسمالي القائم على مبدا الربح أولاً وقبل كل شيء، مما أثر على جميع الجوانب الأخرى ابتداء من الجانب الاجتماعي والثقافي الذي يتمثل بالأسرة وثقافتها وصولاً إلى السياسة والدين، فكل واحد من هذه الجوانب بدأت تتعارض لديه الحقوق والواجبات فأوجد اختلال في جميع الأنظمة، ولهذا يتطلب إعادة تصحيح كل نظام بما يتوافق ولا يتعارض مع النظام الآخر وفق التغيرات الحاصلة[٣].

ولكل شعب صورته المحددة التي ينظر بها إلى نفسه في مواجهة الشعوب الاخرى واحدى الطرق التي ينظر بها الشعب إلى نفسه من خلال الفلكور الخاص به والتي كثيراً ما يصيغها على هيئة أغنية أو حكاية أو مثلاً ينتهي إلى أن يصبح قولاً يتردد على ألسن البناء الشعبي[٤]. وقد تحاول المجتمعات أيضاً إيجاد نفسها في فلسفة أو فكرة ألقى بها أحد علمائها أو مفكريها فتيمم شطرها نحو هذا العالم أو هذه الفكرة التي غيرت مسار تاريخ المجتمع وقلبت كيانه رأساً على عقب، فتتخذ له تمثالاً عظيماً أو تسمي مدناً بأسمه أو شوارع وغيرها من سبل التباهي والتفاخر والأعتزاز. وفي مجال السوسيولوجيا العراقية لدينا الكثير من العلماء والمفكرين الذين يحق لنا أن نعتز ونفتخر بهم لما لهم من إسهامات وإنجازات كبيرة ساهمت في رفع شأن السوسيولوجيا العراقية على الصعيدين العالمي والعربي آخذين بنظر الإعتبار إن علم الاجتماع ظهر في العراق أبان فترة نهاية مرحلة الحداثة وبداية ما بعد الحداثة. ومن أهم هؤلاء السوسيولوجيين:

أولاً: الدكتور علي الوردي

ويعد الدكتور علي الوردي (بغداد ١٩١٣-١٩٩٥) من أشهر رواد الحداثة والتنوير في العراق حيث تمثل كتاباته الأجتماعية النقدية وأفكاره التنويرية الجريئة أولى بوادر التحديث التي سعت الى نشر قيم الحداثة والعصرنة في المجتمع العراقي والتي تتمثل في جميع دراساته وبحوثه ومؤلفاته السوسيولوجية الهامة التي حاول فيها تفكيك الظواهر الاجتماعية المعلنة والخفية ونقدها. فمنذ كتابه الأول حول شخصية الفرد العراقي وحتى موسوعته لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، كان الوردي يدعو الى تحديث المجتمع من الناحيتين الفكرية والمادية عن طريق رفد الفكر الاجتماعي بأفكار وآراء حديثة تدعو الى الاسترشاد بما قدمه التقدم العلمي والتكنولوجي في الغرب للنهوض بالمجتمع من تخلفه وركوده ومسايرة ركب التقدم الاجتماعي والثقافي والسياسي في الدول التي سبقتنا الى ذلك قرونا عديدة. وكان خطابه الاجتماعي النقدي مبكراً في طرح آراء وأفكار وقيم جديدة لم يألفها المجتمع العراقي. فهو تحدث عن عوامل التخلف الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وعن العصبيات والمنازعات العشائرية وبقايا القيم البدوية الكامنة في نفوسنا والصراعات الاجتماعية التي سادت خلال العهد العثماني وعن مشاكل تأسيس الدولة العراقية وعن الأفكار الليبرالية والديمقراطية ونظرية التطور لدارون وغيرها. كما دعا الى دخول المرأة في سلك التعليم والعمل وفتح المجال أمامها لتحسين ثقافتها وتطوير ظروفها الاجتماعية الاقتصادية، وفي ذات الوقت وجه انتقادات لاذعة لرجال الدين ووعاظ السلاطين الذين عارضوا دخول المرأة للتعليم في المدارس الحديثة وامتنعوا عن ادخال أولادهم الى المدارس الحديثة، مؤكدا على أن التعليم تيار جارف لا يستطيع المحافظون الوقوف أمامه. كما شن حملة شعواء ضد وعاظ السلاطين وضد استغلال الدين والطقوس الدينية لمآرب خاصة. وقد لاقت أفكاره النقدية استهجان ومحاربة وصلت الى حد

اتهامه بالكفر والزندقة. وكان الوردي في كل كتاباته داعية من أجل تأسيس هوية وطنية جامعة لكل المكونات الاجتماعية العراقية وترسيخها في العقل العراقي(٥).

اما في ما يخص فرضيته الأولى عن المجتمع العراقي وهي **(ازدواج الشخصية)** فهي من بنات افكار العالم الامريكي **(ماكيفر)** والتي تتلخص بان الشخصية سوف تتنازعها اكثر من اتجاه سلوكي عندما تعيش في بيئتين ثقافيتين مختلفتين واقتبسها علي الوردي واراد تطبيقها على المجتمع العراقي وكأنها قاعدة لا تقبل التخلف، وحقيقة الامر ان هذه الظاهرة السلوكية موجودة في جميع المجتمعات البشرية وليست محصورة في المجتمع العراقي فقط، ولها عوامل عدة تغذيها من قبيل طبيعة النظام السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي وهامش الحرية الذي يسود في البيئة الاجتماعية التي يحيا فيها الانسان. اما فرضية **(التناشز الاجتماعي)** فهي الاخرى من افكار ونظريات العالم الامريكي **(اوجبرن)** والتي تتلخص بأن هناك بعدان للثقافة (مادي ومعنوي) والتفاوت الحاصل بين الاثنين عادة ما يحصل لأن الجانب المادي (التكنولوجيا) يقطع شوطا اسرع في التطور منه في الجانب المعنوي (الأفكار والمقولات والنظريات) سوف يترك فجوة بين الاثنين سماها بالفجوة الثقافية تؤدي الى حدوث خلل وارتباك في سيرورة المجتمع وابعاث ظواهر تهدد النسيج الاجتماعي وهي الاخرى ظاهرة حدثت في مجتمعات كثيرة ولم تكن حكرا على المجتمع العراقي، وحاليا معظم المجتمعات العربية تعيش هذه الظاهرة وكثير من الازمات التي تعيشها ومنها العراق هي نتاج الفجوة الثقافية.

إن الدكتور علي الوردي معروف في نقده وموقفه من الدين ويرى ان طريقة التدين السائدة في المجتمع العراقي هي السبب لكثير من الظواهر المتخلفة كالايمان المطلق بالغيب وتفسير الظواهر الاجتماعية وفق هذا المنظور ومنظور الاحلام كما انه درس في امريكا وتأثر كثيرا بالفكر الاجتماعي الغربي وحاول استنساخ مقولاتهم ونظرياتهم بعيدا عن الخصوصية العراقية ودون مراعاة للفوارق الثقافية والدينية والاجتماعية بين البيئتين الامر الذي اوقعه في كثير من المغالطات في ابحاثه وكتاباته عن المجتمع العراقي(٦).

ويرى الدكتور الوردي إن المبادئ الحديثة جاءت إلى العراق (طارئة)، إذ هي لم تنبعث من طبيعة ثقافة مجتمعه الأصيلة. فهي قد اتخذت شكل محفوظات وأناشيد وهتافات وشعارات وما شابه. والفرد يتعلمها في المدارس، أو يقرائها في الصحف والكتب، أو يسمعها في وسائل الإعلام، أو تلقى عليه في المضاهرات والحفلات والتجمعات. وهي إذن تبقى فعالة في مجال الكلام والجدل والإنتقاد فقط، ومن الصعب ان تتغلغل بتأثيرها في أعماق النفوس. فالفرد قد يجادلك على أساسها، إنما هو لايستطيع أن يغير سلوكه بها إلا في نطاق محدود جداً(٧).

وفي كتابين متتاليين تقريباً، أهمل الوردي فيهما الى حد كبير لمس العمق السوسيولوجي للحقيقة وأثار من خلالهما أسئلة كثيرة وتناقضات بليغة أضَلتْ بمقدار ما تُوهت أغلب المشتغلين في السوسيولوجيا العراقية المعاصرة بسببٍ من فهمهم نصوص الوردي خارج سياقاتها التأريخية والثقافية أو بسببٍ من محاولةِ جرها الى الحاضر أو ربما بسبب عقمٍ منهجي ومعرفي للراهن، أو انقطاع القدرة للراهن المختص على تفسير ما يحدث وما تصير اليه الدنيا وإعادة النظر بالموقف السوسيولوجي المعاصر من العقل. ضاعف من ذلك كثافة التحليلات الوردية ونسفها للعقل بوصفه عاجزاً على الانفتاح على المجهول، مع نسبة حظ عالية لأعماله على الإنتشار آنذاك من بينها الصراعات الكبيرة التي كانت هائجة بين الماركسين والمثالين والوجوديين من بين مثقفي المجتمع العراقي آنذاك فضلاً عن تبنيه موقفاً نظرياً لا أدريا من العقل جعله رجل يخفي العناء، ما دفع الجميع إلى التنصت على عقله والتناص مع أفكاره ومن ثم استولى الشعور بالفشل النهائي على أغلبهم . أذن فقد شكل الوردي بالسحرية الشعبية التي تبدّى عليها خطابه والشهرة التي نالها، حتى شكل بالفعل ما أسماه غاستون باشلار (عقبة أبستمولوجية) أضلت الذين أتوا بعدها[٨].

ففي كتابه "مهزلة العقل البشري " يبدأ فصلاً بالعنوان نفسه بتأكيد جازم: لقد ثبُتَ اليوم أن العقل البشري صنيعة من صنائع المجتمع، وهو لا ينمو أو ينضج الا في زحمة الاتصال الاجتماعي ويضرب مثلاً تقليدياً أنه إذا ولد الانسان وترعر بين الحيوانات فأنه يمسى حيواناً مثلها.. وينطلق ليروي لنا قصة عثور الرعاة على طفل بشري في عرين الذئاب في الهند، الذي يبدو انه أصبح ذئباً.. وينكر كلياً ان هنالك قدرة او فعاليات عقلية وان لم يتم استثمارها من قبل أصحابها. مع ان العلم الحديث يذهب الى حقيقة مفادها: يمتلك الناس ملكة عقلية واحدة ومتساوية الى حدٍ كبير، لكن الاختلاف ان هنالك من يوظف قدراته هذه ومن لم يتمكن، من يعرف كيف يطورها واخر لا يعرف طريقا للوصول اليها، ويضيف ايضاً في مجال أخر " إن أي إنسان لاينمو عقله إلا في حدود القالب ألذي يصنعه له المجتمع. هذه العبارة تحمل أفتراضات وإيحاءات ساخرة، ولا يجب ان يطرح التساؤل بهذه الطريقة، ومن ثم تخرج بالطبع علمياً على كل التأكيدات الانثروبولوجية التي قدمتها دراسات ليفي برول وليفي شتراوس. هذا ما وجدنا، لأننا لا يمكن ان نطلب اليوم من فلاسفة فرنسا (وليس من بدائي مُتَصَوَرْ) ان يأتوا بمثل فلسفة بيرجسون او نطالب علماء اميركا ان يأتوا بمثل الاضافات الاشكالية التي جاء بها اينشتاين. وهو سؤال مهم فعلاً أذا كان المجتمع يصنع العقل (كلياً) لماذا لم يتكرر بيرجسون او إينشتاين بنسخ كثيرة في بلادهم ؟ وهي ما زالت تسير في نسق ثقافي ثابت[٩].

وعموماً ورغم ماسبق فإن نقد الوردي وتشخيصه للعلل الاجتماعية كان يتسم بالنظرة الشاملة، فعند تشخيصه للعلاقة المرضية بين الشيخ والفلاح والغني والفقير، والحاكم والمحكوم، يأخذ شرائح اجتماعية ممتدة بشكل أوسع في المجتمع العراقي ونظرته النقدية لبعض المعتقدات وطرائق العيش والسنن الاجتماعية كانت ثاقبة

وغائرة في أعماق تراث المجتمع العراقي، فكان اسلوبه السوسيولوجي يتصف بالشمول، ولم يتناول الموضوعات والمشاكل أو الظواهر الاجتماعية التي تحدث بين فردين أو جماعة صغيرة الحجم أو مشكلة اجتماعية طارئة على المجتمع العراقي، بل الملتصقة بالحياة الاجتماعية العامة لا الخاصة بتراث وتاريخ الحدث لا بالحدث نفسه، بالمصلحة الاجتماعية وليس الذاتية، فجاء منهجه موضوعياً من دون تحيز فئوي أو فردي لأنه لم يجامل الحدث الاجتماعي أو الموقع الاقتصادي أو السياسي المتميز داخل المجتمع العراقي، ولم يبالغ في تسجيل الظاهرة أو المشكلة بل شخصها كما هي وابتعد كل البعد عن الغيبيات والمواعض والخيال السوسيولوجي[١٠].

فالدكتور الوردي بلا شك يعد أسطورة علم الاجتماع الرفيعة في العراق والعالم العربي الذي كثيراً ما اقترن علم الاجتماع العراقي بأسمه وجابت أفكاره كل أقطار السماوات الرحبة من المشرق إلى المغرب العربي، وملأ الأفق بسحر كلماته وإسلوبه الفريد والمميز، ودقة ملاحظاته، فهو أول من حاول تحليل شخصية الفرد والمجتمع العراقي، وفتح أبواباً واسعة ورحبة للوصف والتحليل سهلت المهمة على الباحثين من بعده، وما فرضياته حول هذا المجتمع إلا مرجع علمي رصين يمكن تطبيقها على المجتمع العربي بصورة عامة، رغم المآخذ والإنتقادات الكثيرة التي نالت منه شخصياً ومن إنجازاته العلمية والمعرفية.

ثانياً: الدكتور عبد الجليل الطاهر

وهو من روادعلم الاجتماع في العراق، ولد في مدينة القرنة بمحافظة البصرة، حاصل على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، مارس التدريس في كلية الآداب، وتخرجت على يده أجيال من التلامذة الذين أفادوا من عقله وتعلموا المفاهيم والمصطلحات الإجتماعية الجديدة في تحليل وحدات المجتمع العراقي، وكان لكتاباته في الصحف أثر كبير في تغيير بعض الدراسات في الجامعة، وقد ساهم مع الدكتور علي الوردي وشاكر مصطفى سليم والدكتور حاتم الكعبي في نشر بذور علم الإجتماع ألحديث في العراق ووضعوا اللبنات الأولى لدراسة الظواهر الإجتماعية في الريف والصحراء والمجتمع الحضري.وله كتب مترجمة كثيرة عن السكان والإقتصاد والتجريبية والمزارع التعاونية ويعتبر عبد الجليل الطاهر الرائد الثاني في علم الاجتماع في العراق بعد الدكتور علي الوردي، أسهم بشكل فعال في تدريس علم الاجتماع في كلية الآداب (جامعة بغداد) بعد منتصف القرن (العشرين)، وقدم العديد من الدراسات والمؤلفات والتراجم التي أسهمت في إثراء الفكر الاجتماعي والمعرفة الاجتماعية، وعكس المرحلة الأولى من مراحل تطور هذا العلم في العراق [١١].

وكان مستهل انجازاته العلمية تمثلت في دراسة الوحدات الاجتماعية الكبيرة في العراق، كدراسة المجتمع البدوي والريفي والمديني، وانتقل في مرحلة لاحقة من حياته لدراسات الوحدات صغيرة المدى، كالشخصية العراقية، ومشروع المغيشي، ففي مجال دراساته عن المجتمع العراقي يمكن تبويبها وتصنيفها كما يأتي[١٢]:

١- المجتمع البدوي في العراق.

٢- طرق تنمية الريف العراقي.

٣- المجتمع المديني في العراق.

٤- الشخصية العراقية.

وقدم لنا الدكتور عبد الجليل الطاهر وصفاً جديداً في دراسة ((القوقعة والقلق في المجتمع العراقي)) حيث قال أن الشخصية العراقية هي شخصية (متقوقعة وقلقة) في وقت واحد وان الرواسب القوقعية تتركز في اعماق شخصية الفرد العراقي، بسبب مجموعة من القوانين الوضعية التي شرعتها القوى الاجتماعية باتجاهاتها واشكالها المختلفة، ومحاولة فرضها الضغوط على كل أطياف المجتمع العراقي، لتتماشى مع التكوين القوقعي لهذه القوى فكان تأثيرها كبيراً في تكوين هذه الشخصية المتقوقعة. وكذلك وضع الدكتور عبد الجليل الطاهر ثلاث مظاهر رئيسية ينظر منها الى شخصية الفرد العراقي وهي[١٣]:

١- الانتماء القوقعي الى الأسرة أو المحلة أو القبيلة أو الطائفة وغيره من باقي الانتماءات المتحجرة الجزئية، والتي تعمل على جر وجدان الفرد العراقي جراً غير متناسق الى مجموعات ولائية مليئة بالمياه الآسنة، تشيع فيها الاحقاد والتختلف والعفونة، وتعمل على تصدع البناء النفسي والفكري للشخصية والبناء الاجتماعي للمجتمع ككل.

٢- إن شخصية الفرد العراقي تمثل مظهراً حضاريا وتاريخياً يعبر عن النماذج المجتمعية في مرحلة تاريخية وحضارية معينة، بمعنى إن مركز الثقل في الشخصية يختلف في اهتماماتها من مرحلة تاريخية وحضارية الى مرحلة أخرى.

٣- إن المستويات والاطارات المختلفة من العلاقات لشخصية الفرد العراقي. رسمت صورة واضحة ومترابطة الاجزاء عن الشخصية والمجتمع، ولفتت الإنتباه إلى ان في شخصية الفرد العراقي مظهرين أساسيين هما (القلق والقوقعية).

وعلى أية حال لم تكن للدكتور الطاهر دراسة مستقلة عن الشخصية العراقية، بل إن ماكتبه من آراء وتقييمات كانت عبارة عن رد فعل متأخر لكتابات الدكتور علي الوردي في هذا الخصوص حيث ظهر رد فعله عام ١٩٦٩ و ١٩٧١ ، بينما ظهرت كتابات الوردي حول الشخصية العراقية في منتصف الخمسينات، وهذا يعني ان هذا الموضوع لم يكن من اهتماماته الفكرية او البحثية الأساسية، ولأنه لم يمتلك المعلومات الكافية لسبر غور مثل هذا الموضوع الحيوي، لذلك أوقع نفسه بذات المطب الذي حاول أن يستخدمه لنقد الوردي، فلم يقدم للباحث الاجتماعي العراقي أو العربي أساساً يضيفه في بناء هذه الدراسة[١٤].

ومن الجدير بالملاحظة ان الطاهر على الرغم من تخصصه بعلم الاجتماع، إلا إن معظم أعماله النقدية كانت فلسفية الجوهر، وفضلاً عن دراسته في جامعة شيكاغو التي اهتمت بالفلسفة البراغماتية بشكل مكثف إلا أنه كان غير مبال لها، بل نقل اعمال الفرنسيين امثال شارل بوفيه (في المزارع التعاونية) واعمال كلود هلفسيوس (الفيلسوف النفعي) وأعمال المفكر الهنغاري كارل منهايم (في اليوتوبيا والايديولوجيا)، وهذا يشير إلى إنه لم يكن ممثلاً أو عاكساً لأتجاه فكر ثابت، وفي الوقت ذاته لم يقوّم أي إتجاه فكري أو اجتماعي، بل ولم يستخدم منهجاً علمياً في استقراء الواقع بل كان ناقلاً ومترجماً لأعمال الآخرين سواء كان ذلك في مجال علم الاجتماع أو الفلسفة أو المجتمع العراقي أو العربي. وحتى مؤلفه حول المجتمع الليبي فقد ذكر بأن طلابه في قسم علم الاجتماع في ليبيا – عندما كان يعمل هناك – جلبوا له المعلومات كافة حول مجتمعهم وقام هو بتدوينها في كتاب يحمل عنوان المجتمع الليبي، لذلك لم يبرز بعمل مبتكر نابع من تفكيره أو منطقه أو استقرائه الخاص به وهذا هو السبب الذي جعل أعماله العلمية تقع على هامش أعمال علم الاجتماع لأنها لم تغذه بأفكار وآراء وملاحظات جديدة، بل نقل أعمال المفكرين الاجتماعيين وهذه وظيفة ثانوية عند المختصين في علم الاجتماع وليست أساسية[١٥].

ثالثاً: الدكتور حاتم الكعبي

الأستاذ الدكتور حاتم عبد الصاحب الكعبي ولد في مدينة العمارة محافظة ميسان (سنة ١٩١٧) وتوفي ببغداد سنة (١٩٧٩) وبين ١٩١٧ و ١٩٧٩، عاش الدكتور الكعبي حياة حافلة بالاحداث والمنجزات والإسهامات العلمية فعدا عن دراسته الابتدائية والمتوسطة والاعدادية فأنه دخل دار المعلمين العالية ببغداد ونال الليسانس في العلوم الاجتماعية. وقد حظي ببعثة علمية إلى الولايات المتحدة الامريكية، ونال الدكتوراه من جامعة شيكاغو سنة ١٩٥٤ وكان عنوان أطروحته (الحركة القومية العربية في العراق)، ومن الطريف أن الكعبي وقبل أن يحصل على الدكتوراه ترجم عن بتريم سوروكن كتابين أو كراسين أولهما بعنوان المدرسة الميكانيكية في علم

الاجتماع، وثانيهما المدرسة الاقتصادية ونشر الكراسين سنة ١٩٤٨ في علم الاجتماع، وبعد قيام ثورة ١٤ تموز – يوليو ١٩٥٨ وسقوط النظام الملكي وتأسيس جمهورية العراق ظهر الدكتور الكعبي مناصرا للثوار مؤيدا للثورة وخاصة في تحطيمها أسس النظام الملكي الإقطاعي الرجعي وذلك من خلال إصداره كتابه المهم الموسوم (علم اجتماع الثورة). ومما تضمنه الكتاب دعوته إلى خلخلة بنيان النظام السابق، وبناء مجتمع عراقي جديد والطلب من المثقفين الإسهام في ذلك مع ضرورة إبعاد المثقفين الأذناب الذين ارتبطوا بالنظام السابق وأسهموا في خدمة مصالحه الطبقية[١٦].

والدكتور الكعبي يعد أول المهتمين بظاهرة (السلوك الجمعي) في العراق، فضلاً عن سبقه التأليفي والمنهجي في علم الاجتماع أبان أربعينيات القرن الماضي مع الأستاذ الدكتور عبد الفتاح ابراهيم، ويمكن أن نفهم التوجهات الفكرية للدكتور الكعبي عن طريق فهم مؤلفاته الكثيرة، منها على سبيل المثال (في علم اجتماع الثورة 1959) و(حركات المودة 1971) و(السلوك الجمعي 1973)، وإن كتاب حركات المودة يشير فيه إلى إرتفاع نسبة (ظاهرة المودة) في الحياة العامة وكثرتها في المدن وقد يرتبط هذا النوع من الظواهر ب حالات التغير الاجتماعي، وهو دلالة على إرتفاع وزيادة الذوق العام، والرأي الجماهيري في مجالات الحياة المختلفة السياسية والاقتصادية بشكل خاص، مع ملاحظة إن زيادة أهمية السلوك الكلي والسلوك الجماهيري، والظواهر ذات الطابع الجمعي ومنها ظاهرة المودة. أما في كتابه (السلوك الجمعي) قدم لنا الكعبي نفسه على إنه سوسيولوجي حاد وصارم، يسعى إلى بحث النظريات السوسيولوجية وتحليلها ونقدها بطريقة مكثفة خلال مصادر متنوعة ومختلفة ، وهو ما يفسر سعة إطلاعه، كما قال استاذه (هربرت بلومر) استاذ التفاعلية الرمزية، الذي أشار إلى إن كتاب الكعبي يعد اضافة كبيرة للنتاج الفكري في علم الاجتماع[١٧].

لم ينظر الدكتور الكعبي إلى الجماهير كما نظر بعض علماء الاجتماع الغربيين نظرة شك، وإنما توصل إلى حقيقة ثابتة وهي أن الثورات الجماهيرية هي مصدر للتغير الاجتماعي في المجتمع، ويرفض الدكتور الكعبي فكرة البطل ويبالغ في فهمه للوظيفة الاجتماعية والتاريخية للجماهير ويقول مثلا : بأن الموروث الاجتماعي في جميع المجتمعات يضم رواسب ومخلفات ومقدسات وطقوس ومراسيم وطوائف دينية وعقائدية ومشاعر، هي في الواقع من صناعة الجماهير على الأعم الأغلب[١٨].

وشكلت نتاجات الدكتور الكعبي سمة بارزة في مجال علم الاجتماع النقدي والمهني، فتمتع بحس علمي رصين منكفئاً على داخل المؤسسة بحثاً وتدريساً عبر إيرادات التراث العلمي في السوسيولوجيا، وتحديداً تأثيره

بالاتجاه التفاعلي الرمزي دون إيلاء مساحة تذكر للأهتمام في الشأن العام وربما نجد ذلك في نقده للوردي حول ما ابتدعه من منهجية في دراسة الشخصية العراقية[١٩].

لم ينظر الدكتور الكعبي الى الحركات الثورية نظرة سلبية انما اعتبرها حركات ايجابية تغير المجتمع، وبذلك انسلخ عن الطابع المحافظ للتفاعلية الرمزية. حيث كانت بواعثه وانشغاله الكبير بظاهرة الثورة لم تكن وليدة اللحظة التي انبعثت فيها، بل منذ كان شابا ينظر بترقب وملاحظة لكيفية التغيير الاجتماعي لأنه كان يؤمن إن التغيير لا يتم إلا عن طريق الثورة وبواسطة السلوك الجمعي أي عندما تنتظم ردود أفعال الأفراد أو الجماهير في عمليات السلوك الجمعي لأنها تعبر عن إرادة شعبية لغالبية أفراد وفئات المجتمع. ورأى ان التفاعل الاجتماعي قد يكون تنازعي ايجابي ليس دائما تفاعل سلمي وبذلك كانت اضافته للتفاعلية الرمزية التي كان من تلامذة اساتذتها مثل (بلومر) و(ميد) (شيلز). والمطلع على نظريات التفاعل الرمزي يجد أن معظمها أغفلت أو أهملت ظاهرة التفاعل الصراعي الاجتماعي، بل درست أشكال التفاعل الاجتماعي ومنه الرمزي إذ اظهر الدكتور الكعبي القلق وعدم الاستقرار بين الناس المضطهدين الباحثين عن متنفس يحقق آمالهم ويشبع رغباتهم، فهو تفاعل مشاعر مهتاجة تظهر على سلوك جمعي[٢٠].

إذ يرى الكعبي أن السلوك الجمعي هو وسيلة مهمة في التغير الاجتماعي وانه هو العامل المحرك الذي يحدث بواسطته ومن خلاله التغير الاجتماعي. وعليه فهو يرفض نظرية البطل في تغيير التاريخ أو (الرجل العظيم) في تفسير هذا التغير التاريخي، إذ كان المؤرخون يعنون بدراسة وتتبع حياة الملوك والقادة والفاتحين ومَّن على شاكلتهم وجعلوا التاريخ هو تاريخ الطبقات الارستقراطية وحدها في كل مكان. ويشير الدكتور إلى حقيقة السلوك الجمعي الذي لا يقتصر مفعوله على إحداث تغييرات اجتماعية في النظام الاجتماعي بشكل جزئي أو كلي، بل انه في بعض الأحيان يكون عاملا أو مظهرا من مظاهر المحافظة والثبوت وتركيز النظام الجديد أو بعض وجوهه،وعليه فإنَّ الأنماط السلوكية حديثة العهد والقيم ألحضارية الجديدة التي يعوزها التأصل والنفوذ في المجتمع إنما تعمل بعض ظواهر السلوك الجمعي على ترسيخها وإكسابها حرمة ونفوذٌ بينَ الناس (كالدعايات والمواكب الاحتفالية والمسيرات) وغيرها من المظاهر[٢١].

رابعاً: الدكتور شاكر مصطفى سليم

شاكر آل مصطفى سليم العزاوي، ولد لأسرة بغدادية كانت تسكن في محلة (راس الساقية) في باب الشيخ، وكانت أسرته من متولي جامع الخفافين، فمنهم أهل وجاهة وخير ومنهم الحاج عبد الرزاق مصطفى سليم المتوفي سنة ١٩٥٤من أهل الفقه والعلم، ولقد كان والده قد أنتقل لمدينة العمارة موظفا حكوميا، فولد شاكر فيها.

حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة لندن. وولد في مدينة العمارة، ودرس في بغداد والقاهرة ولندن. ثم حصل على شهادة الدكتوراه في الانثروبولوجيا، وهو أول أستاذ عراقي أدخل هذا الاختصاص إلى جامعة بغداد، وادخل مادة لدراسة المجتمع العراقي، وذاع أسمه وشهرته عند تصديه بقوةّ للأوضاع السياسية والاجتماعية التي حدثت بعد عام ١٩٥٩، وتعرض بسبب نقده الاجتماعي إلى السجن والنقل من كلية إلى كلية، ثم تعرض للفصل من الوظيفة بعد كتابته فصولاً انتقادية هاجم فيها حكم عبد الكريم قاسم في جريدة الحرية عام ١٩٦٠[٢٢].

والدكتور شاكر مصطفى سليم (١٩١٩–١٩٨٥) يعد آخر عضو في مدرسة السوسيولوجيا العراقية من جيل المؤسسين الأوائل، ,بوصفه (الانتروبولوجست) الأوحد الذي أسس لبداية الأنثروبولوجيا في العراق، ونال شهرة كبيرة عن دراسة قرية (الجبايش) في الجنوب العراقي، والتي تمثلت في أطروحة دكتوراه عن سكان ضفاف الفرات التي نشرها عام (١٩٦٢) ومن ثم نشرتها جامعة بغداد في كتاب عام (1970) ، فقد وصف فيه سكان الأهوار في جنوب العراق، وصفاً دقيقاً، وكذلك الصراع القائم بين التقاليد القبلية والسلوك المادي. إن لنتاجه المعرفي ابعاد كثيرة ومتنوعة تمثلت في نشر مقالات تخص الشأن العام منها[٢٣] : (من مذكرات قومي متآمر) ١٩٥٩ و(الإعصار الأحمر) ١٩٦٠ و(نضال وحبال ١٩٦٣) و(محكمة حسن الركاع)، وهو صاحب أول مبادرة في دراسة مجتمع الأهوار العراقية، وصدر كتابه في هذا المجال بأسم: الجبايش وهو جزآن، طبع سنة ١٩٥٦–١٩٥٧، وكان فيما بعد مصدراً رئيساً لعديد من الدراسات في علم الاجتماع العراقي، ومن مؤلفاته الأخرى (الطيش القاتل) – قصة ١٩٣٦ و(محاضرات في الانثروبولوجيا) ١٩٥٩ و(الإنسان في المرآة) ترجمة ١٩٦٤ وهو كتاب يبحث علاقة الانثوبولوجيا بالحياة المعاصرة من تاليف كلايد كلوكهون، وله كتب أخرى كتبت بالإنكليزية[٢٤].

كان الأستاذ الدكتور شاكر مصطفى سليم ذو أسلوب ساخر، وتهكمي في مقالاته. كما كان عروبيا قوميا في توجهاته السياسية، ويتجه الظن انه كان مستقلا لاينتمي إلى أي حزب، كتب عنه الأستاذ الدكتور معن خليل عمر في كتابه (رواد علم الاجتماع في العراق) بغداد ١٩٩٠ حيث قال أن الدكتور سليم يعد ناقدا وباحثاً، وان مارس النقد الاجتماعي لأحداث سياسية متصارعة في جريدة الحرية (البغدادية) أثارت انتباه القراء وكان نقده أحادي الجانب، إلا انه انطلق من الجانب القومي ضد الجانب الشيوعي والمسؤولين السياسيين إبان حكم الزعيم عبد الكريم قاسم ١٩٥٨–١٩٦٣، فتعرض لمشاكل سياسية ومهنية أدت به إلى السجن والإبعاد والنقل من كلية إلى أخرى ومن ثم إلى الفصل من الوظيفة. ومما توصل إليه الدكتور معن خليل عمر أن الدكتور شاكر مصطفى سليم ابرز – من خلال كتاباته – دور المثقفين العراقيين وما يمكن أن يقوموا به في التفاعل مع الحدث السياسي، لكن تطرقه للصراع السياسي افتقد إلى التحليل ولم يكن منطلقا من زاوية

منطقية. كما انه لم يشر إلى أبعاد الصراع وايجابياته وسلبياته، ولم تكن نظرته شاملة بل تجزيئية وسردية، ودون الولوج إلى حيثيات الحدث وآثاره وتبعاته الاجتماعية، ويعد الدكتور شاكر مصطفى سليم محطة مهمة من محطات النضال من اجل أن تظل الجامعات في العراق بعيدة عن النشاطات السياسية والحزبية[٢٥].

خامساً: الدكتور فالح عبد الجبار

الدكتور فالح عبد الجبار (١٩٤٦ _ ٢٠١٨) يعد أحد الأسماء والاقلام الفكرية والثقافية العراقية الصادحة في عالم الثقافة والفكر وعلم الاجتماع والترجمة، ترك لنا منجزاً فكرياً وثقافياً كبيراً، وكانت دراساته وكتاباته ومقالاته متناثرة هنا وهناك، بين كتاب ومقالة ومحاضرة وترجمة، أنه انسان فاعل بمعنى الكلمة، وانسان مناضل بالفكر والكلمة، غادر العراق عام ١٩٧٨م بسبب عدم قناعته بفكر حزب البعث وطروحاته الفكرية والسياسية، الذي لاحق وحاكم وسجن كل من لا ينتمي له، وبما أن عبد الجبار ينتمي للحزب الشيوعي العراقي، فهو معرّض للمطاردة ايضاً، وخشية من هذا المناخ السياسي والاجتماعي والثقافي المشحون غادر عبد الجبار العراق بحثاً عن عوالم حرة ومجتمع يحترم الانسان، فكان بحق يبحث عن عالم شبيه بالعالم المثالي الذي قرأه في أفكار الفلسفة الماركسية، ومن شد ما كان منسجماً مع أفكاره ومخلصاً لها آثر الهجرة والسفر على البقاء مكبوتاً أو مسجوناً في بلده.

كانت لندن، المحطة الأولى التي حط فيها عبد الجبار رحاله، حيث عمل أستاذا وباحثا في علم الاجتماع في جامعة لندن، مدرسة السياسة وعلم الاجتماع في كلية بيركبيك والتي كان قد حصل منها على شهادة الدكتوراه. وقد عمل سابقا محاضرا في جامعة ميتروبوليتان – لندن، متخصصاً بدراسة الفكر السياسي والاجتماعي في الشرق الاوسط، بينما كانت بيروت المحطة الثانية التي أقام بها وأستقر عبد الجبار، وأنشأ فيها معهد الدراسات العراقية وأصبح مديراً له، وقد كتب وألف وترجم الكثير من الدراسات والمؤلفات العربية والأنكليزية، وأغلب مؤلفاته تناقش قضايا في علم الاجتماع السياسي والديني والمدني وقضايا الحركات الاحتجاجية، ومن ثماره المبكرة في هذا المجال أطروحته للدكتوراه التي عنوانها (The Shiite) Movement in Iraq، الحركات الشيعية في العراق، التي جرت تحت اشراف الدكتور وعالم الاجتماع العراقي سامي زبيدة[٢٦].

اعطى فالح عبد جبار عشرات الكتب والابحاث العلمية الرصينة للمكتبة العربية والدولية وكان مثالا للمفكر المجد الذي قرن قوله بالفعل ولم يتهاون في مناصرة المظلومين والمستضعفين في الارض في كل مكان، فساهم كمثقف عضوي في نضالات الشعوب من اجل التحرر من ربقة الاستبداد والديكتاتورية. فكانت مواقفه منسجمة مع روحه اليسارية الماركسية، لذلك لم يكن يوما من الايام متهاونا في نقد الاطروحات القومية التي تسربت الى الفكر الماركسي بطبعته العربية، فقد ناصر الدكتور فالح عبد الجبار نضالات الشعب الكردي وبل شارك

الاكراد ماساتهم ضد بطش صدام حسين كما ناهض المواقف القومية الشوفينية التي تواطأت مع نظام صدام حسين لتصفية الاكراد، كما ان فالح عبد الجبار كان من اشد معارضي نظام الاسد في سوريا. لقد انفرد الدكتور فالح عبد الجبار بدراساته المعمقة عن الديناميات الاجتماعية العراقية وساهم مساهمة علمية متميزة في تشريح المجتمع والدولة العراقيتين، ودرس احتجاج حركات الاسلام السياسي الشيعية تحديدا، كما قارب بمنهجية علمية محكمة مواضيع الدولة والسلطة والمواطنة والمجتمع المدني.. وهي مواضيع برع المفكر العراقي الراحل في تفكيكها وفهمها ومحاولة صياغة اطروحات نظرية حولها. كان للدكتور العراقي فالح عبد الجبار مواقف متميزة فيما يخص احتلال الكويت حيث عارضه بشدة واعتبره عدوانا على دولة ذات سيادة وهذا موقف مشهود وموضوعي جلب عليه سخط الطبقة السياسية والاعلامية والثقافية العراقية التي كانت انذاك تسبح بحمد النظام وتمجد بطولاته الوهمية، كما كان له موقف متميز ومشهود من الاحتلال الامريكي للعراق سنة ٢٠٠٣، حيث بقدر فرحه وابتهاجه بالقضاء على اعتى ديكتاتور في الشرق الاوسط الا انه تحسر على القضاء على مقومات الدولية العراقية وحلول منطق وواقع اللادولة مكان الدولة العراقية المستبدة، حلم الدكتور فالح عبد الجبار بعراق ديموقراطي جديد بعد الاحتلال الامريكي وبعد اسقاط نظام صدام حسين، الا ان حلمه خاب واصبح العراق يعيش واقع ازمة متواصلة وفوضى عارمة وبروز الطوائف والمذاهب والعشائر واحتلالها مسرح الاحداث، فتوارى منطق الدولة والمؤسسات سانحا الفرصة قسرا لحكم الطوائف وللتدخلات الاجنبية شمالا وجنوبا، امام هذا الوضع المزري كتب الدكتور فالح عبد الجبار كتابه (الديموقراطية المستحيلة) حيث خلص الى ان الشروط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يعيشها المجتمع العراقي بعد ٢٠٠٣ لا تسمح بقيام ديموقراطية فعلية ورسم مستقبلا قاتما لعراق الطوائف والفتن الداخلية التي لن تنتهي قريبا. واستنتج استنتاجا مهما وهو ان ارث الديكتاتورية لا يزول بزوال الديكتاتور، بل يتطلب التخلص من ارث الديكتاتورية والاستبداد ردحا من الزمن، وتضحيات مسترسلة[٢٧].

المبحث الرابع: إستنتاجات ومقترحات

أولاً: الاستنتاجات

شكلت الإسهامات التنظيرية لرواد علم الاجتماع في العراق الأنفاس الأولى لبداية حياة جديدة لهذا العلم الفتي والجديد على الساحة العراقية المتعطشة للمعارف الحديثة، التي ملأت الأفق العربي بإبداعات ونشاطات تنظيرية لم يسبق لها مثيل في الوطن العربي. فكانت فرضيات الوردي بمثابة الهوية العراقية لعلم الاجتماع، فقد كان موفور المعرفة عذب اللسان أحبه الناس والتف الجميع حوله يصغون إلى أحاديثه العذاب، فتسامع به الكل، وذاع صيته في البلدان، وراحت أفكاره تغري المفكرين من بعده، فلم يقف السعي التنظيري على جهوده فحسب

في تلك الفترة، بل لم تلبث أن أمتلأت الساحة العراقية رواداً ومفكرين لايقلون مهارة وكفاءة عن الوردي أمثال عبدالجليل الطاهر وحاتم الكعبي وشاكر مصطفى سليم وفالح عبد الجبار وغيرهم الكثير من الرواد الأوائل.

ثم بعد ذلك ازدحمت جحافل السوسيولوجيون في الساحة العراقية، وانتضمت صفوف الرواد من الجيل الثاني الذين اصطفوا لرفد ميدان السوسيولوجيا العراقي باسهامات وتنظيرات جديدة، فقد كانت اسهاماتهم لا تقل أهمية عن الجيل الأول أمثال (الاستاذ الدكتور متعب مناف السامرائي والدكتور قيس النوري والدكتورة مليحة عوني القصير والدكتور خلوف الجدعان والدكتور يونس حمادي والدكتورة فوزية العطية والدكتور ابراهيم الحيدري والدكتور خالد الجابري والدكتور معن خليل عمر والدكتور مازن بشير والدكتور علاء البياتي والدكتور عبد المنعم الحسني والدكتور كامل المراياتي والدكتور احسان محمد الحسن). ولم تكتمل هذه الجهود في تثبيت جذور السوسيولوجيا إلا بعد الإسهامات الحثيثة لرواد الجيل الثالث أمثال (الدكتور كريم محمد حمزة والدكتور عدنان ياسين مصطفى والدكتورة ناهدة عبد الكريم حافظ والدكتورة لاهاي عبد الحسين والدكتورة ثناء محمد صالح).

هكذا شب هذا العلم وأيفع، وتألق ولعب دوراً محورياً في حياة المجتمع العراقي، ولم يقتصر دوره على النقد والتحليل فحسب، بل إلى وضع حلول ومعالجات للكثير من المشاكل والانحرافات والظواهر الاجتماعية، ودراسة التغير الاجتماعي، وبرز دور الخدمة الاجتماعية في تقديم الرعاية ألاجتماعية لفئات معينة من المجتمع، وكذلك نشطت الدراسات الانثروبولوجية في تقديم صورة واضحة عن حياة المجتمع ووصف الحياة الاجتماعية فيه.

ثانياً: المقترحات

من أجل تطوير الفكر السوسيولوجي العراقي يقترح الباحث التأكيد على أهمية تعزيز دور البحث الأكاديمي المحلي، عبر تشجيع الدراسات السوسيولوجية التي تعتمد على تحليل الواقع العراقي وتراعي خصوصيات المجتمع، بعيدًا عن تقليد النماذج الغربية الجاهزة. ويتعين على الباحثين العراقيين تطوير مفاهيم سوسيولوجية محلية أصيلة تعكس تاريخ وثقافة المجتمع العراقي، من خلال تجاوز الاعتماد الكامل على المفاهيم المستوردة، مع مراعاة الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الفريدة التي يمر بها العراق. كما يجب أن يكون للجامعات العراقية دور محوري في تطوير التنظير السوسيولوجي، عبر إنشاء برامج أكاديمية متخصصة تركز على بناء نظرية سوسيولوجية محلية، مع تشجيع التعاون بين المؤسسات الأكاديمية العراقية والمراكز البحثية في العالم العربي والغربي لتبادل المعرفة والتجارب. ومن الضروري أيضًا تعزيز الدراسات الميدانية التي تركز على الواقع

الاجتماعي العراقي، خصوصًا في المناطق الريفية والمدن الصغيرة التي لا يتم تسليط الضوء عليها كثيرًا في الأبحاث السوسيولوجية، وذلك للحصول على صورة شاملة ودقيقة حول التحولات الاجتماعية في المجتمع العراقي. بالإضافة إلى ذلك، يجب تشجيع الحوار المستمر بين المفكرين السوسيولوجيين العراقيين والعرب لمناقشة القضايا المشتركة وتطوير حلول للمشكلات الاجتماعية التي تواجه المجتمعات العربية بشكل عام. ومن المهم أن يركز التنظير السوسيولوجي على دراسة تأثير التحولات السياسية والاقتصادية على الفكر السوسيولوجي العراقي، لا سيما في فترات الحروب والصراعات الداخلية التي شهدها العراق،أخيرًا، ينبغي دعم الابتكار في أساليب البحث السوسيولوجي، من خلال استخدام التقنيات الحديثة مثل التحليل الرقمي والاستبيانات الإلكترونية، التي تسهم في زيادة دقة النتائج واستكشاف أبعاد جديدة للظواهر الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع العراقي.

المصادر:

١. إبراهيم الحيدري، علي الوردي وتحديات الحداثة، مركز الدراسات العلمانية في العالم العربي، على الرابط: https://www.ssrcaw.org/ar/art/show.art.asp?aid=476846

٢. إبراهيم خليل العلاف، حاتم الكعبي والمدرسة العراقية في علم الاجتماع، مقال منشور على موقع دنيا الوطن على الرابط: https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/235948.html

٣. انس ناجي حسن البلداوي، منهجية البحث عند الدكتور حاتم الكعبي، دراسة اجتماعية تحليلية،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم علم اجتماع، ٢٠١١.

٤. انغير بوكر، الدكتور فالح عبد الجبار عالم الاجتماع السياسي العراقي الذي ناضل ضد الدكتاتورية إلى آخر رمق، مقال منشور على موقع أنفاس نت من أجل الثقافة والإنسان في ٢ نوفمبر ٢٠١٩، على الرابط: https;//anfasse.org

٥. حاتم راشد على، سوسيولوجيا.المعرفة الاكاديمية في العراق، حالة النتاج ألبحثي في أقسام علم الاجتماع، إطروحة دكتوراه غيرمنشورة، جامعة القادسية، كلية الآداب،قسم علم الاجتماع، ٢٠٢١.

٦. حسام الدين فياض، ماهية التنظير السوسيولوجي، مقال منشور على موقع الحوار المتمدن-العدد: ٧٣٦٥ - ٢٠٢٢ / ٩ / ٨ - ٢٠:٣٢ على الرابط، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=76788

٧. د.علي الوردي، دراسه في طبيعة ألمجتمع العراقي، محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث، دار الوراق للنشر، بغداد،١٩٩٤.

٨. رائد جبار كاظم، مالم يقله فالح عبد الجبار في كتابه العمامة والأفندي، مجلة كتابات، ٢٧ فبراير، ٢٠١٩.

٩. زينب محمد صالح، المدلول الرمزي للجسد في الموروث الشعبي العراقي دراسة انثروبولوجية، إطروحة دكتوراه غيرمنشورة، جامعة بغداد، كلية الادآب، قسم علم الاجتماع، ٢٠١٣.

١٠. علاءجواد كاظم، بنية العقلية العراقية، دراسة تأويلية في الانثروبولوجيا المعرفية، إطروحة دكتوراه غيرمنشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠١٢.

١١. فيليب جونز، النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية، ترجمة د.محمد ياسر الخواجة، ط١،مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠.
١٢. محمد قاسم جعفر، شاكر مصطفى سليم ، سيرة وفكر ، مجلة المعلم ، بغداد ، ١٩٧٧ .
١٣. مدونة إبراهيم العلاف، الإستاذ الدكتور شاكر مصطفى سليم وصفحة من تاريخ الصراع السياسي في جامعة بغداد، على الموقع: (wwwallafblogspotcom.blogspot.com) .
١٤. معن خليل عمر، الشخصية العراقية في كتابات الدكتور عبد الجليل الطاهر، الناقد العراقي، موقع متخصص بالنقد على الرابط:https://www.alnaked-aliraqi.net
١٥. معن خليل عمر، رواد علم الاجتماع في العراق، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠.
١٦. موقع عرب سايكولوجي، الدكتور عبد الجليل الطاهر، على الموقع الالكتروني: https://arabpsychology.com/lessons.
نور خالد علي، سوسيولوجيا الأخلاق ودورها في تنمية الوعي المجتمعي، دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة بغداد، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠٢٢

الهوامش :

١ – حسام الدين فياض، ماهية التنظير السوسيولوجي، مقال منشور على موقع الحوار المتمدن–العدد: ٧٣٦٥ – ٢٠٢٢ / ٩ / ٨ – ٢٠:٣٢ على الرابط، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=76788

٢ – فيليب جوننز، النظريات الأجتماعية والممارسات البحثية، ترجمة الدكتورمحمد الخواجة، ط١، مصر العربية للنشروالتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠، ص٩.

(٣) – نور خالد علي، سوسيولوجيا الأخلاق ودورها في تنمية الوعي المجتمعي، دراسة اجتماعية ميدانيه ففي مدينة بغداد، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠٢٢، ص ٧٦.

(٤) – زينب محمد صالح، المدلول الرمزي للجسد في الموروث الشعبي العراقي دراسة انثروبولوجية، إطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع،٢٠١٣، ص ١٤٤.

(٥)– إبراهيم الحيدري، علي الوردي وتحديات الحداثة، مركز الدراسات العلمانية في العالم العربي، على الرابط: https://www.ssrcaw.org/ar/art/show.art.asp?aid=476846

(٦) المصدر السابق نفسه.

(٧) الدكتور علي الوردي، دراسه في طبيعة المجتمع العراقي، محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث، دار الوراق للنشر، بغداد،١٩٩٤، ص ٣٥٨ .

(٨) – علاء جواد كاظم، بنية العقلية العراقية، دراسة تاويلية في الأنثروبولوجيا المعرفية، إطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠١٢، ص ٤٦.

(٩) – المصدر نفسه، ص ٤٧.

(١٠) – معن خليل عمر، رواد علم الاجتماع في العراق، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ص٣٩ .

(١١) – موقع عرب سايكولوجي، الدكتور عبد الجليل الطاهر، على الموقع الالكتروني: https://arabpsychology.com/lessons

(١٢) – معن خليل عمر، رواد علم الاجتماع في العراق، مصدر سابق، ص ٨٥.

(١٣) – معن خليل عمر، الشخصية العراقية في كتابات الدكتور عبد الجليل الطاهر، الناقد العراقي، موقع متخصص بالنقد على الرابط:https://www.alnaked-aliraqi.net

(١٤) – معن خليل عمر، رواد علم الاجتماع في العراق، مصدر سابق، ص ٩٤.

(١٥) – المصدر نفسه، ص١١٣ .

(١٦) – إبراهيم خليل العلاف، حاتم الكعبي والمدرسة العراقية في علم الاجتماع، مقال منشور على موقع دنيا الوطن على الرابط: https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/235948.html

(١٧) – حاتم راشد علي، سوسيولوجيا المعرفة الأكاديمية في العراق،حالة النتاج ألبحثي في أقسام علم الأجتماع، إطروحة دكتوراه غيرمنشورة، جامعة القادسية، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، ص ٨١.

(١٨) – إبراهيم خليل العلاف، حاتم الكعبي، منتدى الشورة، على الرابط: https://ashora-muntada.ahlamontada.com/.

(١٩) – حاتم راشد علي، مصدر سابق ص ٨٥

(٢٠) – انس ناجي حسن البلداوي، منهجية البحث عند الدكتور حاتم الكعبي، دراسة اجتماعية تحليلية،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم علم اجتماع، ٢٠١١، ص٨٥.

(٢١) – انس ناجي حسن البلدواوي، مصدر سابق، ص ١٠٩.

(٢٢) – محمد قاسم جعفر، شاكر مصطفى سليم ، سيرة وفكر ، مجلة المعلم ، بغداد ، ١٩٧٧ ،ص١١٢

(٢٣) – حاتم راشد على، مصدر سابق، ص ٨٢.

(٢٤) – المصدر نفسه، ص٨٥.

(٢٥) – مدونة إبراهيم العلاف، الإستاذ الدكتور شاكر مصطفى سليم وصفحة من تاريخ الصراع السياسي في جامعة بغداد، على الموقع: (wwwallafblogspotcom.blogspot.com) .

(٢٦) – رائد جبار كاظم، مالم يقله فالح عبد الجبار في كتابه العمامة والأفندي، مجلة كتابات، ٢٧ فبراير، ٢٠١٩.

(٢٧) – انغير بوكر، الدكتور فالح عبد الجبار عالم الاجتماع السياسي العراقي الذي ناضل ضد الدكتاتورية إلى آخر رمق، مقال منشور على موقع أنفاس نت من أجل الثقافة والإنسان في ٢ نوفمبر ٢٠١٩، على الرابط: https;//anfasse.org